

رَمَضَانَ شَهْرُ الْإِنْتِصَارَاتِ ١٢ رَمَضَانَ ١٤٤٥ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: أَيَّامُ رَمَضَانَ مَأْتِرٌ لِعِزِّ الْأُمَّةِ الْمَعْقُودِ، وَأَمَلِهَا الْمَنْشُودِ. وَيَشْهَدُ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ الْمَجِيدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَأَنَّ عَدَدًا مِنْ تِلْكَ الْفُتُوحِ الَّتِي فَرَّقَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

فَفِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ ثَانِي سِنِّي الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فَرَضَ اللَّهُ الْجِهَادَ عَلَى الْأُمَّةِ مَعَ افْتِرَاضِ شَعِيرَةِ الصِّيَامِ، فَكَانَ رَمَضَانَ مَوْسِمَ نَصْرِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى امْتِدَادِ التَّارِيخِ، حِينَ شَهِدَتْ أَيَّامُهُ الْخَالِدَةُ مَعَارِكَ خَاصَّهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ الْأَعْدَاءِ عَلَى تَنَوُّعِ دِيَانَاتِهِمْ، وَاخْتِلَافِ أَقْطَارِهِمْ، وَتَفَاوُتِ عَدَدِهِمْ وَعَدَّتِهِمْ، أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهَا أَوْلِيَاءَهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَوَاقِعُ الرَّمَضَانِيَّةُ فَيَصَلُّ فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ، وَنُقْطَةُ تَحَوُّلٍ فِي مَسِيرَتِهَا وَاتِّسَاعِ رُقْعَتِهَا، وَشَامَةِ فِي جَبِينِ عِزِّهَا وَهَامَةِ هَيْبَتِهَا.

* فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ كَانَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ حِينَ انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ.

* وَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ كَانَتْ مَوْقِعَةُ الْبُؤَيْبِ مَعَ الْفُرْسِ عَلَى يَدِ الصَّحَابِيِّ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ كَانَتْ مَعْرَكَةُ الْقَادِسِيَّةِ الشَّهِيرَةُ بِقِيَادَةِ الصَّحَابِيِّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ اسْتَعَادَ الْمُسْلِمُونَ جَزِيرَةَ رُودَسَ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ الصَّحَابِيِّ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَتِسْعِينَ فَتَحَتْ الْأَنْدَلُسُ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ أَرْبَعَةِ وَتِسْعِينَ افْتُتِحَتْ بِلَادُ الْهِنْدِ وَالسُّنْدِ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ الشَّابِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ كَانَ فَتْحُ عُمُورِيَّةَ الْمَشْهُورِ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ أَرْبَعَةِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ فَتَحَتْ مَدِينَةُ سَرْقُوسَةَ فِي جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةِ الْأُورُوبِيَّةِ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَانَ تَحْرِيرُ مَدِينَةِ صَفَدٍ مِنْ قَبْضَةِ الرُّومِ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ صَالِحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَمَانِيَةِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كَانَتْ هَزِيمَةُ الْمَغُولِ فِي مَعْرَكَةِ عَيْنِ جَالُوتَ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ سِتَّةِ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ كَانَ فَتْحُ أَنْطَاكِيَّةَ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ افْتَتِحَتْ أَرْمِينِيَّةُ الصُّغْرَى.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ كُسِرَتْ شَوْكَةُ الْمَغُولِ فِي مَعْرَكَةِ شَقْحَبِ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ وَاحِدٍ وَتَسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فَتَحَتْ بِلَادُ الْبُوسْنَةِ وَالْهَرَسِكِ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ الْعُثْمَانِيِّ السُّلْطَانَ مُرَادِ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ تِسْعَةِ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ فُلَّ حَدُّ الرُّوسِ عَلَى يَدِ الْعُثْمَانِيِّينَ فِي وَاقِعَةِ الْقَرَمِ.

* وَفِي رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ حَطَمَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ حَطًّا بَارْلِيْفَ، وَجَرَعَ الْيَهُودَ هَزِيمَةً نَكَرَاءَ، فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ الْوَحِيدَةُ لَهُمْ فِي تَارِيخِنَا الْمَعَاصِرِ فِي رَمَضَانَ.

أَيُّهَا الصَّائِمُونَ: إِنَّ الْمُتَمَلِّلَ فِي أَسْبَابِ أَنْزَالِ اللَّهِ نَصْرَهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيَجِدُ أَنَّهُ فَضْلٌ مِنْ

اللَّهِ أَفَاضَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ حِينَ انْتَصَرُوا عَلَى نُفُوسِهِمْ، فَكَانُوا مُؤَهَّلِينَ لِتَنْزُلِ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وَفِي رَمَضَانَ يَكُونُ الْإِنْتِصَارُ عَلَى النُّفُوسِ أَقْوَى مَا يَكُونُ، انْتِصَارُ عَلَى الرِّيَاءِ، وَمُلاحَظَةُ الْخَلْقِ

بِتَصْفِيَةِ الْعَمَلِ لِلْخَالِقِ ابْتِدَاءً، بِتَبْيِيتِ نِيَّةِ الصَّوْمِ.

وَأَنْتَصَارُ عَلَى الشَّيَاطِينِ بِالتَّصْفِيدِ، وَتَضْيِيقِ مَجَارِيهِمْ بِالصِّيَامِ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَذَا رَمَضَانُ قَدْ جَاءَكُمْ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُعْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُسَلْسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ».

وَأَنْتَصَارُ عَلَى الشَّهَوَاتِ الَّتِي كَثِيرًا مَا يَكُونُ دَاعِيهَا الْفَرْجَ وَالْبَطْنَ وَاللِّسَانَ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلٍ لِبْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتُهُ وَطَعَامُهُ مِنْ أَجْلِي»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لَلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وَأَنْتَصَارُ عَلَى الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَالْأَثَرَةِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

وَأَنْتَصَارُ عَلَى سُوءِ الْخُلُقِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ وَقَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ».

وَأَنْتَصَارُ بِالْإِجْتِمَاعِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَالْفِطْرُ يَوْمَ تَفْطِرُونَ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ تُضْحُونَ».

وَأَنْتَصَارُ بِالْإِعْتِزَالِ بِالْإِسْلَامِ، وَخَلْعِ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ الْمُهِينِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَصُلْ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَكَلَةُ السَّحَرِ».

رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ قَرِينُ النَّصْرِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

عِبَادَ اللهِ: إِمْعَانًا فِي حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَامْتِدَادًا لِعَوَائِدِ نَصْرِهِ الرَّمَضَانِيِّ، فَإِنَّا نَتَرَقَّبُ مَخَايِلَ تَنْزُلِ النَّصْرِ فِي فَلَسْطِينَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، بِدَعَوَاتِ مَلَائِكَةِ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ، وَنَرَقَّبُ بَعَيْنِ الْأَمَلِ أَنْ تَكُونَ فَلَسْطِينَ مَقْبَرَةً لِلْيَهُودِ.

فَانْتِصَارَاتُ رَمَضَانَ أَثَبَّتْ أَنَّ طَرِيقَ تَنْزُلِ النَّصْرِ الْإِلَهِيِّ الْوَحِيدِ لِلْأُمَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِانْتِصَارِهَا عَلَى ذَاتِهَا، حِينَ تَسْتَقِيمُ عَلَى صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يَظُلُّ رَمَضَانُ أَقْوَى مَحَطَّةٍ تَزُودُ لِلسَّيْرِ فِيهِ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ غَلَبَتْ كَثِيرًا مِنَّا نَفُوسُهُمْ، وَأَعَاقَتْهُمْ عَنِ الصُّعُودِ بِأَرْوَاحِهِمْ إِلَى خَالِقِهِمْ، وَحَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّرْوُدِ لِأَخْرَاهُمْ، وَصَارَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي رَمَضَانَ الْيَوْمِ إِنَّمَا يُجَاهِدُونَ فِي نَيْلِ مُشْتَهَاتِ النُّفُوسِ، وَتَحْقِيقِ رَغَبَاتِهَا، تَزْدَحِمُ الشَّوَارِعُ، وَتَمْتَلِئُ الْأَسْوَاقُ، وَتَعْلُو الْأَصْوَاتُ، وَيَكْثُرُ الصَّخَبُ، وَقَدْ يَخْتَلِطُ الرَّجَالُ بِالنِّسَاءِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ، وَتَكْثُرُ الْبِضَائِعُ الْمَعْرُوضَةُ، وَيَتَحَرَّكُ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ، وَيَشْتَغِلُ كَثِيرُونَ بِجَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِي، وَيُعْرِضُونَ عَن تِجَارَةِ الْآخِرَةِ الرَّابِحَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَتَى نَعْلَمُ أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنِ التَّغَلُّبِ عَلَى سُلْطَانِ نَفْسِهِ، وَقَهَرَ هَوَاهَا، فَهُوَ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى عَدُوِّهِ الْخَارِجِيِّ مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَدُوُّ ضَعِيفًا؟! كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَاجِهَ الْعَدُوَّ سَاعَةً أَوْ يَضْمُدَ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ لِحِظَةً، مَنْ يَنَامُ عَنِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي رَمَضَانَ، وَهِيَ لَا تَتَجَاوَزُ دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ، وَفِي مَسَاجِدَ مَفْرُوشَةٍ وَمُكَيَّفَةٍ؟! وَأَنْتِي لِامْرِئٍ بِالصَّبْرِ فِي مُرَابَطَةٍ فِي ثَغْرِ مِنَ الثُّغُورِ، وَهُوَ لَمْ يُصَبِّرْ نَفْسَهُ لِأَدَاءِ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَالْقِيَامِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً أَوْ نِصْفَ سَاعَةٍ!؟